المقدِّمة

الحمد لمن استحقَّ الحمد بمنِّه وفضله وعميم خيره، من خلق الشعوب وذرأهم، وباينَ بين ألوانهم وألسنتهم، وجمع على الحق والتوحيد قلوبًا، ووحَّد تحت رايته أممًا وشعوبًا.

وأصلي وأسلم على القائد الأغرّ، والنبي الأطهر، ما عرفت الأرض أعدل وأكرم ولا أشجع وأحلم ولا أحنك وأعلم من صاحب المقام المحمود والحوض المورود محمد بن عبد الله، وعلى آله الأنقياء، وأتباعه الأصفياء من حملوا بعده اللواء؛ ليعم الأمن والخير الأرجاء، ما غرد صدّاح وما رفّ جناح.

أما بعد:

فإن الدين الإسلامي الحنيف قد جاء بحفظ الضرورات الخمس (الدين والنفس والعقل والعرض والمال)، وحرَّم بالمقابل أي نوع من أنواع الاعتداء على هذه الضرورات، بل بُنيت الأحكام والأوامر على هذه الأسس العظيمة.

والأمن مطلب شرعيّ ملحّ يسعى الإسلام لتحقيقه، وهو نعمة يوجب حفظها ورعايتها، ويمنع كل ما من شأنه أن ينال منها، ولذا فرض الحدود والعقوبات لمنتهكيها.

وأعمال العنف والفساد التي اندفع منفذوها في بعض البلدان ـ سراعًا ـ يطلبون الموت؛ قد اشتدَّ خطرها، وتفاقم شرها؛ فلا بد أن تبذل الجهود العلمية والعملية، وتصرف الأوقات في محاولة إيقافها، والحد من آثارها وعواقبها الوخيمة، ولئن ذهب أولئك وأفضوا إلى ما قدموا؛ فإن أفكارهم التي انطلقوا منها باقية ما بقيت أسسها، وستجد لها أنصارًا وأتباعًا يحملونها ليترجموها إلى أفعال تكرر المأساة.

وإن من أخطر دلالات الحدث أنه مصطبغ بصبغة الجهاد، متلبس بلبوس التديّن، يرفع شعارات الولاء والبراء والكفر بالطاغوت والجهاد في سبيل الله، ومَنْ

كانت هذه منطلقاته فلا حيلة في صرفه عنها إلا بمحاولة إقناعه بخطأ استدلاله، وخطورة أفكاره، وهذا لا يتحقّق إلا باستعراض أدلته وتمحيصها ومناقشتها مناقشة علمية.

وإن من أبرز المنطلقات التي انطلقت منها هذه الجماعات في تبنيها لخيار العنف «التكفير»؛ إذ إنه المرتكز لتلك الأفكار والمحرّك الرئيس لكثير من هذه الأعمال.

وإن هذه الجماعات حين تتكلّم في موضوع التكفير فإنهم يدبجون كلامهم بنصوص شرعية ويستأنسون بكلام لأئمة الإسلام، ولذلك حري بأهل العلم أن يكشفوا الشبه، ويناقشوا الأدلة المستند عليها، ويوضّحوا كلام العلماء ويضعوه في موضعه.

وحيث إنَّ التكفير مصطلح شرعي جاءت النصوص الشرعية به ودلت عليه، وتكلم فيه أئمة الإسلام وعلماؤه على مر العصور، فإن له ضوابطه وشروطه وموانعه. فالأمر يحتاج للمعالجة الدقيقة لهذه المسائل ليتميز الحق من الباطل.

وبالرغم من مرارة الحدث وقوة الصدمة فإن كثيرين لم يتناولوا الحدث بما يتناسب مع دلالاته وخطورة آثاره، ولذلك لم تتجاوز ردود أفعالهم الشجب والاستنكار والتنديد والتبرؤ، فبدت معالجتهم سطحية، لم تسبر غور المأساة لتصل إلى أصول المشكلة، وتلمُّس أسبابها ومعالجة أفكارها.

فمهما بلغ خطاب التنديد والاستنكار من القوة والشدة فهو لا يرقى لمستوى الحدث وخطورته، ولا يعالج المشكلة أو يمنع تكرارها، فالتنديد مجرَّدًا لا يغير القناعات؛ لأنه لا يحمل غير فكرة واحدة هي البراءة واستظهار الغضب.

فهذه الأعمال تنطلق من منهج للتفكير له طريقته في حشد الأدلة والاستدلال بها، لتنتج عملًا مصطبغًا بصبغة الدين، ومتلبسًا بلبوس المنهج الحق. فلا بد للشبهة أن تُكشف، وللأدلة المستند عليها أن تُناقش، ولطريقة الاستدلال أن تصحح، وللعاطفة الإيمانية الصادقة أن توجّه حيث يجب.

ولذلك يجب أن يتزامن مع الخطاب الوعظي الاستنكاري خطاب علمي برهاني. وجميع ذلك يجب أن يتزامن ويكمل الحل الأمني، فالمعالجة يجب أن لا تكون معاقة، بل يجب أن تسخر وتستفيد من جميع الإمكانات العلمية والأمنية وغيرها؛ حتى تكون الحلول نافعة ناجعة وتؤتي ثمارها.

فلكل ما سبق ذكره وقيامًا بالواجب المنوط بطلبة العلم، عزمت على بحث موضوع التكفير عند جماعات العنف المعاصرة.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة في بحث المسائل المتعلقة بباب التكفير عند جماعات العنف المعاصرة والمواضيع المتعلقة به كالولاء والبراء ونحوه.

كما ستقتصر الدراسة على جماعات العنف المعاصرة التي بدأت في الظهور في بعض دول العالم الإسلامي في أواخر عقد السبعينات من القرن الميلادي السابق (نهاية القرن الهجري السابق) إلى اليوم، وخاصة في مصر والمملكة العربية السعودية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث وأسباب اختياره من خلال الجوانب التالية:

١ ـ تفعيل مقصد من مقاصد الشريعة وهو الحفاظ على الضروريات الخمس (الدين والنفس والعقل والعرض والمال).

٢ ـ أن دراسة أصول الانحراف وأسبابه هو الطريق الأمثل للعلاج الحاسم لهذه المشكلة وقمعها.

٣ ـ الإسهام في المحافظة على الأمن (الفكري والحسي) الذي هو من أنفس النعم، وعلى الجميع المساهمة والعمل على حفظه واستمراره.

٤ ـ الدفاع عن الإسلام، وبيان موقفه من هذه الآراء، وبراءته من انتساب بعض الغلاة إليه.

٥ ـ تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول مسائل الإيمان والتكفير والولاء والبراء ونحوها.

٦ ـ الثغرة التي يسدّها هذا البحث والصدع الذي يرأبه، فالموضوع رغم أهميته وخطورته فإنه لا توجد دراسات علمية شاملة ـ حسب علم الباحث ـ خاصة إذا قارنا ذلك بغزارة الإنتاج لدى هذه الجماعات، حيث استطاع الباحث الحصول على أكثر من ثمانين كتابًا لهم منشورًا على شبكة الإنترنت، وأكثر هذه الكتب يبلغ عدد صفحاتها المئات، وربما وصل بعضها إلى الألف؛ عدا المقالات والمجلات ومواقع الإنترنت.

ألا يستحق إنتاج بهذه الغزارة دراسات ومناقشات نقدية؟!

خطة البحث:

- **المقدمة.**
- **التمهيد، وفيه مبحثان:**

ـ المبحث الأول: تعريف التكفير.

ـ المبحث الثاني: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في التكفير.

- **الفصل الأول: التعريف بجماعات العنف، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - المبحث الأول: جماعات العنف في مصر.
  - المبحث الثاني: تنظيم القاعدة.
  - المبحث الثالث: تنظيم القاعدة في المملكة العربية السعودية.
- **الفصل الثاني: الحكم بغير ما أنزل الله، وفيه أربعة مباحث:**
  - المبحث الأول: حكم الحاكم بغير ما أنزل الله.
  - المبحث الثاني: الأنظمة والقوانين الوضعية.
  - المبحث الثالث: الانضمام للمعاهدات والمواثيق الدولية.
  - المبحث الرابع: قتال الطائفة الممتنعة.
- **الفصل الثالث: الولاء والبراء، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:**
  - تمهيد في تعريف الولاء والبراء.
  - المبحث الأول: التكفير بالولاء والبراء.
  - المبحث الثاني: مظاهرة الكافرين على المسلمين.
  - المبحث الثالث: من لم يكفر الكافر.
- **الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.**
- **الفهارس.**

أما منهج البحث فهو المنهج الاستقرائي (للحجج) التحليلي (لها). مع استعمال المنهج التاريخي في بعض أجزاء الدراسة، والمنهج النقدي لآراء وأفكار جماعات العنف.

أبرز الصعوبات:

١ ـ المسائل التي يناقشها البحث أكثرها من النوازل المعاصرة التي لم تنل حقها من الدراسة والبحث؛ وهذا بدوره يصعّب مهمة الباحث إذ إنه لا يجد دراسات كافية ينطلق منها.

٢ ـ تشعّب البحث وكثرة مواضيعه؛ وهذا يستدعي توفير عدد كبير من المراجع، إضافة إلى تشتيت ذهن الباحث فتأمّل (تاريخ هذه الجماعات، التكفير، استحلال المعاصي، من لم يكفر الكافر، الحكم بغير ما أنزل الله، المعاهدات والمواثيق الدولية، الأنظمة والقوانين، الولاء والبراء، مظاهرة الكافرين على المسلمين).

٣ ـ صعوبة توفر المراجع المتعلقة بجماعات العنف، خاصة إذا علمنا أن غالبيتها غير منشور.

وفي الختام أتوجه بالحمد والثناء لله ﷻ على ما مَنَّ به عليَّ من إنجاز هذا البحث[1] الذي عايشته بقلبي وعقلي قرابة الأربع سنوات، عصفت بالأمة عواصف عظيمة، وهزتها أحداث عنيفة أسأل الله ﷻ أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لقارئه العزيز.

وأسأل الله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا إتباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعل ما كتبناه حجة لنا لا علينا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أصل هذا البحث رسالة ماجستير بعنوان (مسائل التكفير عند جماعات العنف المعاصرة عرض ونقد)، قدّمت لقسم الثقافة الإسلامية في جامعة الملك سعود، وقد تفضل بمناقشتها لجنة مكونة من: الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي (مقررًا) والأستاذ الدكتور خالد بن منصور الدريس (عضوًا)، والدكتور سهل بن رفاع العتيبي (عضوًا).